الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة كالانبيا والصحابة
وعلما السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الاخرة والاقبال على الدنيا فلعل موت
هذا انفع للمسلمين من حياته ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت في فم
الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل
العلم والوعظ في هذه الازمنة المتاخرة لا تنحصر لكثرتها لكنا نبهنا بالقليل عن الكثير
وفرقة اخرى احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر
المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الريا والحسد والكبر وجاهدوا انفسهم
بالتبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت
في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض مدركه فلم
يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتشه
حتى لم يبق فيه شيا فيما ظهر له الا انه لم يفتش عما لم يخرج رؤوسه بعد من تحت الارض وظن
ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت
تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت
فافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن
المراقبة للخفايا والتفقد للدقايق فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره في جمع العلوم وترتيبها
وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر
شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة
اليه من الافاق والثنا عليه بالعلم والورع والتقديم له في المهمات والاجتماع حوله للا
ستفادة والتلذذ بحسن الاصغا عند الايراد والتبجح بالرؤوس عند كلامه والثنا عليه والتعجب
منه والفرح بكثرة الاصحاب والتمكن به من اطلاق الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا
من تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين
المغرور وحياته في الباطن لما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثنا
فلو تغير عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما ظهر من اعماله فعساه يتشوش
عليه قلبه

فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يكذب
في تغطية عيبه وعساه يوثر بالكرامة والموالاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد
اعتقد فيه فوق قدره وينبو خاطره عمن يعرفه على وفق حاله وربما يوثر بعض اصحابه على بعض
ويوهم انما اثره لفضل فيه وورع وما ذلك الا لكونه مطوعا له ومثنيا عليه ولعل اصحابه
يستفيدون منه ويرغبون عنه وهو يظن انه قد اخلص لله وصدق فيحمد الله على ما
يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر للذنوب ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه
وعساه لو وعظ مثل ذلك التواعظ ايثار الخمول والعزلة واخفا العلم لم يرغب فيه لفقده
عن العزلة والاخفا لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم
من بني ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد ظانا انه ينتفع
به وباطنه يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ونسبه لنفسه
لثقل ذلك عليه مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع للمصنف والله عالم
انه للمصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثنا على نفسه اما صريحا بالدعاوى
واما ضمنا بالطعن في غيره ليظهر من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه ولعله يحكي من الكلام
المزيف ما يريد تزييفه فيعزوه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزوه لقائله ليظن انه من
كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره كالذي يسرق قميصا فيجعله قباء حتى لا يعرف
ولعله يزين لفظه بحسن تسجيع وترصيع نظم ويحترز من ذلك ويرى ان نيته ترويج الحكمة
وتحسينها وتزيينها لتعين النفع للناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكما وضع
ثلثماية كتاب في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من
نفاقك شيا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا تملقوا واثنوا على بعضهم
بعضا واذا افترقوا اخذ كل يتخصص بعيب صاحبه ويستكثر لنفسه ويتبجح ان كان اكثر اتباعا من
غيره وكل يستبشر ان اتباعه خير من اتباع غيره وان انقطع عنه واحد منهم وذهب
لغيره ثقل ذلك عليه ووجد في نفسه نفرة منه ويرجو لا يبقى على اشتغاله كما كان ولعل
التحيز عنه الى فئة اخرى انفع له ولعل ولكل منهم اذ الحرث فيه مبادي الحسد

Copyright © King Saud University